دراسات في القانون الدولي والعلوم السياسية

الدراسة الثالثة:
الإعلام والإرهاب إشكاليّة العلاقة وعوامل التأثير

أ. د. محمد حسن دخيل
د. زهراء علي دخيل

استخدم الإرهاب عبر التاريخ لغايات مختلفة، ومِن قِبَل جماعاتٍ مُتعدِّدة. وعلى الرّغم من تنوُّع الاختلافات بين القائمين بالإرهاب وأهدافهم، وطُرُق عملهم، فهناك أسباب عدّة تدفعهم إلى ذلك.

للإرهاب مظاهر كثيرة، وصور عديدة، ومنه ما يرتبط بالتطرُّف الدينيّ، وغالبًا ما يكون في دائرة الفكر؛ ما ينعكس هذا الفكر على السلوك. وهناك إشكاليّة بحثيّة تتمثّل في الصّلات الوثيقة، والتّأثير الكبير في علاقة الإعلام، والاتّصال السِّياسيّ بالإرهاب.

أثّرت وسائل الإعلام والاتّصال الحديثة تأثيرًا كبيرًا في ازدياد مظاهر الإرهاب. وممّا يُلاحظ أنّ وسائل الإعلام تعتمد غالبًا على الإثارة، في نقل الحدث، ولعلّ مشاهد الإرهاب من أكثر المواضيع إثارةً للمشاهد والمتابع.

لقد أصبحت بعض القنوات الفضائيّة ووسائل التواصل الاجتماعيّ، وبعض المنصّات الإعلاميّة إلى أن تكون من وسائل المنظّمات الإرهابيّة لنقل نشاطاتهم الإرهابيّة، عبر بثّ برامج الكراهية، وكيفيّة صُنع المتفجّرات واستعمالها لإرهاب الأبرياء.

○ أوّلًا: تأثير وسائل الإعلام والاتّصال في النّظام السِّياسيّ

١- أهمّيّة وسائل الإعلام ودورها

إنّ وسائل الإعلام هي التي توجّه الاهتمام نحو قضايا بعينها، فهي التي تطرح الموضوعات، وتقترح ما الذي ينبغي أن يفكّر فيه الأفراد كونهم أعضاء في التجمّع، وما الذي ينبغي أن يعرفوه، وما الذي ينبغي أن يشعروا به.[١]

تُظهر الدِّراسات أنّ وسائل الاتصال تُسهم في توسيع دائرة الاستفادة من الثقافة، وتُساعد على تحقيق الانسجام والإحساس بالانتماء إلى المجتمع؛ الذي تربطه صفات مشتركة، مثل: الثقافة، واللغة، والتاريخ، والدين، والمكانة الجغرافيّة.[٢]

إنّ الإعلام فنّ نقل المعلومات والأفكار والمواقف من مصدر إلى آخر، أو من شخص إلى جمهور الناس.

لذلك، عندما يكون الإعلام ناجحًا، ويُستخدم بمهارة، ويُحقّق أهدافه، فإنه يؤثّر عادةً على الجمهور. ومِنْ ثَمّ، يقود إلى الإقناع. والإقناع بدوره يقود إلى مساعدة الإنسان على تغيير رأيه أو تفكيره بالنسبة إلى مواضيع معيّنة في حياته. وعندما يحصل الإقناع، فإنّ معنى ذلك أنه على الشخص الذي اقتنع أن يغيّر رأيه أو تفكيره السابق للموضوع المطروح، وتبنّي الأفكار الجديدة. ويتوقف تأثير الإعلام في نفوس الناس على حسابات عدّة، الأولى، لها علاقة برجل الإعلام، أو مرسل الرسائل، أما العوامل الثلاثة الباقية، فهي:

- الوضع النفسيّ للمستلم، أو وضعه الشخصيّ.
- علاقة المستلم بالمجتمع الذي يعيش فيه وينتمي إليه.
- القيم والمفاهيم المُتّبعة في ذلك المجتمع.[٣]

من هنا، انبثق مفهوم الاتصال الجماهيري Mass Communication الذي يعتمد على التكنولوجيا أو وسائط النقل، بهدف نشر الرسائل على نطاقٍ واسع، وبسرعةٍ كبيرة إلى الجماهير. ويعمل الاتصال الجماهيري على تقديم معانٍ مشتركة لملايين الأشخاص الذين لا يعرفون بعضهم بعضًا معرفة شخصيّة. وتتّسم رسائل الاتصال الجماهيري بالعموميّة حتى تكون مقبولة ومفهومة من الجماهير المتعددة. ويتمّ التحكّم في الاتصال الجماهيري من خلال العديد من حرّاس البوّابة الإعلاميّة، ففي حين يتحكّم شخص واحد في طبيعة الرسالة المنقولة في حالة الاتصال المواجهي (أي: وجهًا لوجه)؛ إلّا أنّه في حالة الاتصال الجماهيريّ توجد مجموعة من الأشخاص الذين يتحكمون في شكل الرسائل ومحتواها التي تنقلها وسائل الإعلام[٤].

لقد أدّى الإنترنت إلى أن يصبح الرأي العام أكثر معرفةً بما يدور حوله من أحداث. ومن آثار الإنترنت، كذلك، تلك المرتبطة باستفتاءات الرأي العام والتي أصبحت أكثر دقّة لسببين مهمّين، يتمثّل السبب الأول في

---

(1) Lang(Gladys Engel), Lang(kurt),"The Mass Media and Voting ",In: Berelson(Bernard), Janowitz (Morris), Reader in Public Opinion and communication, N. y.: Free Press,1966,p.126 .

[٢] د. بوحنية قوي، الإعلام والتعليم في ظل ثورة الإنترنت، دار الراية، الأردن، ص٢٤.

[٣] موريس جهشان، فنّ الإعلام، المركز اللوثري، بيروت، ١٩٩٠م، ص١١٥.

[٤] د. حسن مكاوي، ود. ليلى السيد، الاتصال ونظريّاته المعاصرة، الدار المصريّة اللبنانيّة، مصر، ٢٠٠٨م، ص٣٤.

ارتفاع مستوى تعقيد تلك الاستفتاءات بمرور الوقت، والسبب الآخر، أنّ الأشخاص الذين يتمّ استفتاؤهم أصبحوا أكثر معرفةً وثقافةً.[١]

تستخدم الإنترنت تقنيّة رقميّة إلكترونيّة، تُمكّن المستخدمين من بثّ المعلومات واستقبالها. ولقد استخدم الإنترنت بكثافة من قبل الأحزاب السياسيّة والمرشّحين في الحملات الانتخابيّة. ويُلاحظ أنّ لكل الأحزاب ومجموعات الضغط عمليًّا صفحات على الإنترنت. ويُستخدم الإنترنت لمساعدة الحكومات في تقديم خدماتها والتصويت الإلكتروني. وبوسع الإنترنت أن يكون له تأثير أكثر جذريّة في المساعدة على البناء السريع لشبكات من المجموعات، كما أنّ التواصل عبر الهواتف المحمولة قد أدّى دورًا أساسيًّا في صياغة أشكال احتجاج فعّالة ومؤثّرة.[٢]

٢- علاقة الإعلام بالسِّياسة

كان العمل السياسيّ، في السّابق، حكرًا على خاصّة الناس وصفوة القوم من رجال السّلطة، والدين، وأصحاب النفوذ من حاشية الأباطرة والملوك، والأمراء. وكانت الصحافة، آنذاك، حكرًا على هؤلاء وعلى أولئك الذين قُدّر لهم أن يكونوا في مواقع السلطة، وباتّساع رقعة التعليم وبسطه لكلّ الفئات في المجتمع، وظهور الصحافة الشعبيّة وانتشارها، اتّسعت قاعدة الاهتمام الجماهيري بالعديد من القضايا ومن بينها قضايا الحكم وأمور السياسة، فازداد الاهتمام بموضوعات السياسة، وتحوّل الاهتمام بالعمل السياسيّ إلى نشاط جماهيريّ بعد أن كان مقتصرًا على فئة من المجتمع. لذا، فإنّ الإعلام السّياسيّ يظلّ العمود الفقري لأداء وسائل الإعلام الحديثة. وصار الإعلام الوجه الآخر للسياسة، فلا نستطيع أن نتخيّل إعلامًا دون أهداف وغايات سياسيّة يسعى إليها، كما لا نستطيع أن نتخيّل عملًا سياسيًّا دون إعلام يدعو إليه ويعكس برامجه وينادي بمبادئه.[٣]

لذلك، يسهم الاتصال السياسيّ في دعم النظام السياسي وزيادة كفاءته وفعاليّته؛ بحيث يتيح للنظام إمكانيّة تدفّق المعلومات منه إلى الجماهير، كما يعمل على نقل اهتمامات الجماهير إلى النخبة وصانعي القرار. ومِنْ ثَمَّ، إمكانيّة خلق مجتمع ونظام ديمقراطي قائم على الحوار.[٤]

لذلك، فإنّ وسائل الاتصال تسهم في صنع القرار السياسيّ عبر ما تقدّمه من مميزات، هي:

- إنّها تمدّ صانعي القرار بالمعلومات بشأن الأحداث الجارية والبيئة السياسيّة لسياستهم.
- تجعل صانعي القرار والحكومة يشعرون باهتمامات الشعب بطريقة مباشرة.
- توفّر للمسؤولين القنوات اللازمة لنقل رسائلهم إلى الجمهور والنخبة السياسيّة داخل الحكومة وخارجها.

---

[١] توماس ماكفيل، الإعلام الدولي، ترجمة د. حسني نصر ود. عبد الله الكندي، دار الكتاب الجامعي، الإمارات العربيّة المتحدة، ٢٠١١م، ص٤٥٩.

[٢] ستيفن د. تانسي، ونايجل جاكسون، أساسيّات علم السياسة، ترجمة د. محيي الدين حميدي، دار الفرقد، دمشق، ٢٠١٦م، ص٢٧٣.

[٣] د. السيد أحمد عمر، الإعلام المتخصص، مكتبة الجامعة، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٢م، ص١٧٢.

[٤] سمير محمد حسين، الإعلام والاتصال بالجماهير والرأي العام، جامعة القاهرة، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٣.

– تُتيح للمسؤولين إمكانيّة الحضور في ذهن الجمهور بعرضهم المستمر لنشاطاتهم.

– تؤثّر وسائل الاتّصال على مواقف مُتّخذي القرار، ومواقف الجمهور باتّجاه المسؤولين الحكوميين. وتستطيع التغطية الإعلامية أن تزيد من التأييد الجماهيري لبعض سياسات القادة والحكومات.[١]

ووفقًا لما سبق، فقد عرف مصطلح "الإعلام السياسيّ" الذي هو منهج وعمليّة تستهدف نشر الأخبار والحقائق على الأفراد بهدف التغيير والتوعية. وهو وسيلة أساسية من وسائل تحقيق التحول السياسي والفكري المنشود من خلال زيادة وعي الناخبين ليصبحوا قادرين على المشاركة الجادّة في الانتخابات... فالإعلام السياسيّ ضرورة لبلورة الشخصيّة الإيجابيّة المتحركة على صعيد المجتمع.[٢]

في هذا الإطار، تبدو العلاقة بين النظام السياسي وبين النظام الإعلاميّ–في كثير من الأحيان–غير متكافئة، حيث يستغل السياسيّون وسائل الإعلام بهدف السيطرة على الجماهير، ويحدث ذلك في النظم السياسيّة الاستبدادية مثلما يحدث في النظم الديمقراطيّة، ففي بعض المجتمعات التي تسيطر عليها نظم سياسيّة قمعيّة يتمّ نقل الرسائل الإعلاميّة في اتّجاهٍ واحد.

أمّا في المجتمعات الديمقراطيّة، فلا يختلف الأمر كثيرا؛ إذ تُستخدم وسائل الإعلام للسّيطرة على المواطنين بالتأثير على سلوكهم السّياسيّ، أو محاولة تغيير توجّهاتهم الأيديولوجيّة، وعلى ذلك بات الإعلام محرّكًا أساسيّا للسلوك السياسيّ الجماهيري، وعنصرًا مهيمنًا في التغطية الإعلاميّة للحملات الدعائيّة الانتخابيّة.[٣]

من هنا، فإذا استخدمت وسائل الإعلام بشكلٍ مناسب، يمكن لها أن تدعم تنمية العمليّة السياسيّة، وذلك بالمساهمة في إمداد الناخبين بالمعلومات، والحقائق، والخبرات اللّازمة؛ فالإنسان بطبعه يبحث عن إشباع حاجاته السياسيّة، ووسائل الإعلام قادرة على تدعيم الوعي الجماهيري السياسيّ، وذلك بإمداده بالمعلومات والخبرات، والحقائق، والأحداث السياسيّة بدقّة ومصداقيّة، وهذا هو المناخ المناسب للتنمية السياسيّة. ومِنْ ثَمَّ، تأهيل النّاخبين بالشكل الملائم للمشاركة السياسيّة، وأيضًا المشاركة في عمليّة اتّخاذ القرارات والتعبير السّياسيّ.[٤]

لذا، ينبغي أن تُسهم وسائل الإعلام بموضوعيّة تامّة في إيجاد الوعي السّياسيّ لدى المواطنين وتشجيعهم على المشاركة السياسيّة، وكذلك الحرص على غرس الشعور بالانتماء الوطني والقومي، كما يقع على وسائل الاتصال والإعلام إتاحة الفرصة لجميع الآراء الوطنيّة للتعبير عن نفسها، ونقل صوتها إلى القيادة السياسيّة. والتعرّف إلى أخطاء المسؤولين ومواجهتهم بها، وتقديم النصح إليهم؛ كي يكونوا نماذج تقتدي بها الجماهير.[٥]

---

[١] د. عبد الرزاق الدليمي، قضايا إعلامية معاصرة، دار المسيرة، عمان، ٢٠١١م، ص٢٣٠.

[٢] د. كريم الموسوي، الإعلان السياسي والدعاية الانتخابيّة، دار البصائر، بيروت، ٢٠١١م، ص٣١.

[٣] د. السيد عمر وآخرون، موسوعة التنشئة السياسية الإسلامية، دار السلام، القاهرة، ٢٠١٣م، ج٢، ص٥٨٩.

[٤] د. عزيزة عبده، الإعلام السياسيّ والرأي العام، دار الفجر، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص٢٢.

[٥] د. علي عجوة، دراسات في العلاقات العامّة والإعلام، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٥، ص٣٦.

إنّ الإعلام بطبيعته يستهدف الإنسان فكرًا ووجودًا، ويسعى للوصول إليه، والسّيطرة على عقله، وتشكيل تصوّراته. ومِنْ ثَمَّ، توجيهه نحو الإيجابيّة أو السّلبيّة. وأمام تلك القدرة الإعلاميّة الهائلة في التأثير على حياة الإنسان، وفكره ومشاعره، وسلوكه. يتّضح لنا الدور الفاعل والقوّة النّافذة لوسائل الإعلام في بناء توجُّه الأفراد والمجتمعات، حيث بإمكان الإعلام أن يكون عاملًا جيّدًا لنشر الأمن في فكر الإنسان، كما بإمكانه أن يكون أداة هدم ومعولًا في الانحراف الفكريّ، والاجتماعيّ.[١]

○ ثانيًا: وسائل الإعلام والرأي العام

• الإعلام ووسائل الاتصال

أضحت وسائل الإعلام جزءًا من حياتنا اليوميّة، تعبّر عن آرائنا، وتشكل وجهات نظرنا وأفكارنا، تنقل تصرفاتنا وتنشئ لنا تصرّفات جديدة وأفكارًا جديدة متلائمة مع العصر والحاجة، وهي بهذا كلّه تنمّط أساليب حياتنا؛ ما يساعد على تقريب أفراد الشعب الواحد، أو المختلف، وتقريب الدول والثقافات من بعضها بعضًا وتفاعلها وتعارفها.[٢]

انطلاقًا من تنوّع المصادر في بيئة الاتصالات وخصائص وسائل الاتصالات الجديدة، التي تشجع على التفاعل والتواصل والمشاركة وتعزيز القوة، هناك ثلاث متغيرات أساسيّة: أولً، تصبح نوعية المعلومات أكثر أهمّيّة من كميتها؛ أي إنَّ المنافسة ليست على الحجم؛ بل المصداقية.

ثانيًا، يصبح تبادل الرسائل أهم من محتواها.

وأخيرًا، انتقل تبادل الرسائل من النمط الهرمي العمودي (أي من أعلى إلى أدنى) نحو نمط الشبكات، التي تكمن قوّتها في بنيتها التنظيميّة المرنة والتي تسمح بالتكيف واستغلال الفرص بشكل أسرع.[٣]

• الدّعاية السّياسيّة: وسائلها وآثارها

١- الدعاية The Propaganda

هي جماعة، أو خطة منظمة لنشر معتقد، أو ممارسة، أو أنّها التعاليم، أو المعلومات الّتي تنشر على هذا النّحو، أو إنها جهود هذا النشر وخططه ومبادئه[٤]

---

[١] بسام المشاقبة، الإعلام الأمني، دار أسامة، عمان، ٢٠١٢م، ص٣٢٠.

[٢] د. نسيم الخوري، فنون الإعلام والطاقة الاتصاليّة، دار المنهل اللبناني، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٢١٢.

[3] Zagarna, R.S. Battles to Bridges U. S. Straregic communication and Public Diplomacy after 9/11, Palgrave Macmillan, 2010, P.90.

[4] Congregation, College of the Propaganda, Committee of Cardinals in Chargeof foreign missions, Association, organized scheme, for propagation of a doctrine or practice; doctrines, information, etc. thus propagated, efforts, Schemes, principles of propagation.

والدعاية هي مجموع الطرق المستعملة من قبل فريق منظم بهدف دفع مجموعة بشرية – موحدة بدوافع نفسانية – إلى المشاركة والمساهمة سلبًا، أو إيجابًا بعمل هذا الفريق.

إنَّ هدف الدعاية ليس المشاركة والمشاطرة فحسب؛ بل هو أيضًا التحول الكامل في الآراء، أو تغييرها على الأقل وذلك بتقريب المسافات بين وجهات النظر.[١]

٢- أساليب الدعاية Propaganda

تتنوع الكيفية الَّتي تقدّم بها المادّة الدعائية للجمهور المخاطب، أو المستهدف بها، ويمكن حصر الأساليب الرئيسة المستخدمة في صياغة المادّة الدعائية في ما يلي:

– الأسلوب الإخباري، أو الإعلامي؛ ويقصد بذلك أنَّه يُترك للمستمع، أو للقارئ المشاهد مهمة استنتاج مغزى لهذه المادّة، أو دلالتها؛ أي إنَّ عبء تفسيرها واستيعابها يقع على عاتق من يتلقى المادّة الإخبارية وليس على من يقدّمها.

– أسلوب التحريف والتشويه عن طريق الاختيار المتحيز لبعض العناصر مع إغفال بعضها الآخر؛ والهدف من ذلك التلاعب بالرأي العام في موقف معين؛ أي إن التحريف يخدم أغراضًا تكتيكية معينة تهمّ الدّولة الَّتي تعمد إلى هذا التلاعب.

– أسلوب الدعاية الخفية، أو الدعاية المقنعة؛ ومن ذلك إدراج بعض المواد الإخبارية في ثنايا ما تقدّمه أجهزة الصحافة والإعلام ويكون القصد من وراء ذلك شدّ الجمهور إلى موضوع معيّن، أو تحويل اهتمامه عن موضوع بذاته.

– الأسلوب القائم على استمالة النزعات المثاليّة؛ وغالبًا ما تكون قطاعات الشباب والطلاب هي أكثر قطاعات المجتمع استجابة لهذه النزعات المثاليّة؛ لأن قيمته تكون في العادة أكثر بساطة من قيم الأجيال المتقدّمة.[٢]

٣- الدعاية السّياسيّة:

تأخذ الدعاية ثلاث صور أساسيّة: الصورة الأولى: الدعاية البيضاء، ويقصد بها ذلك النشاط المكشوف من قبل دولة ما ضدّ دولة أخرى عن طريق وسائل الإعلام المتاحة المختلفة. الصورة الثانية: الدعاية الرمادية، وهي تلك التي لا تخشى أن يقف الناس على مصادرها الحقيقية، إلّ أنها تختفي عادةً وراء هدفٍ ما. الصورة

---

[١] فرنسيس بال، وسائل الثقافة والإعلام في المجتمع، باريس، ١٩٨٠، ص ٧٦؛ روجيه موكيللي، علم النفس الإعلان والدعاية، E.S.F، باريس، ١٩٧٢، ص ٧٢.

[2] Padelford and Lincoln, The Dynamics of International Politics, op. cit. pp. 345 - 348.

الثالثة: الدعاية السوداء، ويتصف بعدم العلنية، ويقوم على نشاط المخابرات والعملاء السريين، وتنمو وتتوالد بطرق سرية داخل أرض العدوّ، أو على مقربة منها.[١]

وتنطوي الدعاية – وخصوصًا السياسيّة منها – على شقّين:

– الشقّ الإيجابي: يتلخص بأن يكون هدف الدعاية التوجّه إلى الجمهور لتغيير سلوكياته وتوجّهات رأيه العام، وهذا التغيير ما كان ليحدث لولا هذا العمل.

– الشقّ السَّلبي: وغالبًا ما يرتدي هذا الشق لباس الدعاية المضادة التي تطلق بوجه دعاية سابقة، أو آنية، أو متوقعة تهدّد بالتأثير والتغير.

٤– وسائل الدعاية السّياسيّة:

تشكل الدعاية جوهر الممارسة السياسيّة في المجتمع السياسيّ المعاصر، وفي الوقت نفسه أداة للسّلطة السياسيّة الحاكمة في ممارستها السياسيّة داخليًّا وخارجيًّا، وهي في ذلك تتأثر بعاملين أساسيين هما:

– التقدُّم الاتصالي الذي استطاع أن يحقّق نوعًا من التقارب البشري وتحوّل العالم إلى قرية عالميّة صغيرة؛ ما ترك تأثيراته على النُّظُم السياسيّة المعاصرة.

– الطبيعة الجماهيرية للمجتمع السياسيّ المعاصر، وفحواها مشاركة المواطن في عمليّة صُنع القرار السياسيّ واتخاذه، وإخضاع تصرّفات الحاكم للرقابة والمساءلة.[٢]

٥– آثار الدعاية السِّياسيّة:

تتوجّه الدعاية السياسيّة على وجه العموم إلى الجمهور. وعليه، يكون من البديهي أن تستعمل الدعاية السياسيّة وسائل الاتصال التي تبلغ الجمهور الأكثر عددًا ومنها: الصحافة، والإذاعة، والتلفزيون... إلّ أنّ استعمال وسائل الاتصال الكبرى هذه لا يكون كافيًّا، في حدِّ ذاته، لتأمين فعاليّة الدعاية السياسيّة. وإنه لا بُدَّ، لكي تكون الدعاية السياسيّة فعَّالة، أن تُستكمل باتصالات مباشرة، والوصول إلى كل فرد، وإلى كلِّ جماعة على حدة، ولهذا يحاول منظّمو الحركات السياسيّة الاتصال المباشر والمتميز، فيسعون إلى الإكثار من الجمعيات – من كل نوع – في المجموعة السكانية التي يتوجّهون إليها: جمعيات مهنية، وثقافيّة، ورياضيّة.[٣]

○ ثالثًا: الحرب النفسية والشائعة والتسميم السياسي

---

[١] د. رفيق سكري، الرأي العام بين القوة الناعمة والقوة الخشنة، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ٢٠١٢، ص. ١٦١

[2] William G. Mayer, The Shifting Sounds of Public Opinion: Is Liberalism back? The Public Interest, Spring 1992, no. 107 .

[٣] غي دورندان، الدعاية، والدعاية السياسيّة، ترجمة د. رالف رزق الله، المؤسسة الجامعية، بيروت،١٩٨٦، ص ٢٢..

١- الحرب النفسيّة:

ترتبط الحرب النفسيّة ارتباطًا وثيقًا بظاهرة الرأي العام وشروط تكونه والثبات عليه، أو تعديله، أو تغييره، وهي تؤدّي الدور الرئيس والمميز في تكوين هذه الشروط. وهنا يتدخّل علم نفس الجماهير بوصفه لاعبًا أساسيًّا على مسرح الحرب النفسيّة. فإذا تمكّن رأي واحد من القدرة على امتلاك التأثير والسحر والهيبة كي يفرض نفسه، يصبح عندئذٍ متوجًا بسلطة عاتية ينحني بوجهها كل شيء.[١]

والحرب النفسيّة هي حملة شاملة تستعمل فيها كل الأدوات المتوفرة، وكل الأجهزة للتأثير على قلوب جماعة محددة وعقولها؛ بهدف تدمير مواقف معينة وإحلال مواقف أُخرى تؤدّي إلى سلوكيات تتفق مع مصالح الطرف الذي يشن هذه الحملة.[٢]

تُمثّل الحرب النفسيّة نوعًا من أعمال المخابرات التي تستخدم الأفكار للتأثير على السِّياسات: إنها تعالج الآراء وتنقلها إلى الآخرين، وهي عمليّة منظمة لإغواء الآخرين بطرق غير عنيفة، وعلى نقيض الحرب العسكرية التي تفرض فيها إرادة المنتصر على الجانب المنهزم: إمّا بالعنف وإمّا بالتهديد باستخدام العنف.

إنَّ الهدف الأساسي للحرب السياسيّة المدمرة هو إضعاف العدو –وإذا أمكن– تدميره بوساطة استخدام المناورات الدبلوماسيّة، والضغط الاقتصادي والمعلومات –الصحيحة والمضللة– والإثارة والتخويف والتخريب والإرهاب وعزل العدو عن أصدقائه ومؤيّديه.[٣]

٢- الشائعة:

إنّها مضمون اتصالي غير مثبت، ينتقل عادة بالكلمة المنطوقة في مواقف الكبت، أو القلق وخصوصًا في المواقف التي تشتدّ الحاجة فيها إلى المعلومات، ولا تتوافر القنوات الصادقة التي يمكن الركون إليها.[٤]

٣- غسل المخ:

هو أسلوب من أساليب التعامل النفسيّ يدور حول الشخصية الفردية؛ بمعنى نقل الشخصية «المتكاملة»، أو ما في حكم «المتكاملة » إلى حدّ التمزّق العنيف؛ بحيث يصير من الممكن التلاعب بتلك الشخصية للوصول بها لأن تصبح أداة طيّعة في أيدي المهيّج، أو خبير الفتن، أو القلاقل.[٥]

---

[1] غوستاف لوبون، علم نفس الجماهير، 1963، ص P.U.F.٨ ،

[٢] ميلوش ماركو، الحرب النفسيّة، ترجمة لبيب لهيطة، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٣، ص ١٦. .

[٣] صلاح نصر، الحرب النفسيّة، ص ٦٩، ٩٧.

[4] Broom. L. Selziner. Ph - Sociologie and text book with readings, third Edition and Harper International Student reprint 1965, p.256 .

[٥] د. حامد ربيع، الحرب النفسيّة في المنطقة العربيّة، المؤسّسة العربيّة للدراسات، بيروت، ١٩٧٤، ص ٣١.

٤- مفهوم التسميم السياسيّ Political Intoxication

يشير إلى العمليّة الَّتي يُراد بها التأثير على العقول والأفئدة عن طريق التلاعب بعناصر التكوين المعنوي، وهو ما يسمّى بعمليّة التوجيه السياسيّ، أو المعنوي الَّذي يدور حول زرع أفكار معينة من خلال الدعاية؛ بحيث تؤدّي إلى تصور معين للموقف يختلف عن حقيقته. وهناك عنصران مهمان قد يشكلان آليات التسميم:

- عنصر التضليل، والَّذي يقوم على إساءة توظيف القيم.
- عنصر الترويض، والَّذي يجعل تلك القيم متجانسة ومُتّسقة مع النظام السّائد.[١]

○ رابعًا: مفهوم الإرهاب والعنف السِّياسيّ: الأدوات والدوافع وسُبُل المكافحة

١- مفهوم الإرهاب والعنف السّياسيّ:

يمثّل الإرهاب الهاجس الذي تعيشه الدول وتخوّف منه الأفراد وهو الاستخدام غير المشروع للعنف، أو التهديد به بوساطة فرد، أو مجموعة، أو دولة ضد فرد، أو جماعة، أو دولة ينتج عنه رعب يعرّض للخطر أرواحًا بشرية، أو يهدّد حريّات أساسيّة ويكون الغرض منه الضغط على الجماعة، أو الدّولة لكي تغير سلوكها تجاه موضوع ما.[٢]

وهو أحد أهم الأخطار التي تهدّد الأمن القومي والإقليمي والدولي، ويعرف بأنه الجريمة الدوليّة ضدّ السلام وأمن البشرية، والتي تهدف إلى: إشاعة الفزع والرعب في المجتمع الدوليّ، وخصوصًا في أوقات السلم، والتي لها أخطار على المجتمعات البشرية بأسرها.[٣]

يعدّ الفعل الإرهابي رسالة مُوجّهة إلى الآخرين. والهدف الأساسي منه هو إحداث أثر نفسي سلبي، يتمثّل في حالة من الخوف والقلق والرعب والتوتر لدى المستهدفين، حين يكمن في إطارها التأثير على توجهاتهم وسياساتهم. ولذلك، فإنَّ كان العنف المادي يتجه إلى ضحية، فإنَّ الآثار النفسيّة السلبية تتولد لدى الجماعة التي تنتمي إليها الضحية.[٤]

هناك معنيان للإرهاب، هما:

المعنى السياسيّ للإرهاب: الإرهاب هو فعل عنيف يرمي الفاعل بمقتضاه وبواسطة الرهبة الناجمة عن العنف إلى تغليب رأيه السياسيّ، أو إلى فرض سيطرته على المجتمع، أو الدّولة من أجل المحافظة على علاقات اجتماعيّة عامة، أو من أجل تغييرها وتدميرها.

المعنى القانوني لإرهاب: يتضمن الإرهاب من النّاحية القانونيّة كل السُّلوكيات المخالفة للقانون، والتي تهدف بالأساس إلى تخويف الناس وإرهابهم لتحقيق أهداف سياسيّة، أو عرقيّة، أو دينيّة. وقد عرّف المكتب

---

[١] د. حامد قويسي، دراسات في الرأي العام، مكتبة الشروق الدوليّة، القاهرة، ٠٠، ص ٣ ٢ ٢.

[٢] د. محمّد عزيز شكري، الإرهاب الدوليّ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٩١، ص ٢٠. .

[٣] نزيه شلالا، الإرهاب الدوليّ والعدالة الجنائية، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، ٢٠٠٣، ص ٢٦.

[4] أدونيس العكرة، الإرهاب السياسيّ بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الإنسانيّة، دار الطليعة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٧٣. .

الدوليّ لتوحيد القانون العقابي الإرهاب بأنه: "لا يقتصر على كونه خطرًا عامًا بل هو إفزاع الشعب وإخافته على أمواله، أو على أرواحه، أو أبدانه".[١]

ويضاف إلى ما سبق، فإنَّ هناك نوعًا من الإرهاب يُسمّى:

الإرهاب الإلكترونيّ، أو المعلوماتيّ: وهو نوع جديد من الإرهاب يتمثّل في استخدام شبكات المعلومات والإنترنت والحواسيب، من أجل أغراض التخريب والتدمير، أو الإرغام؛ لأغراض سياسيّة. ويرتبط هذا الإرهاب، إلى حدّ كبير، بالدور الحيوي الكبير الذي باتت تكنولوجيا المعلومات تؤديه في كل مجالات الحياة في العالم، بشكل جعل بعض المجتمعات تعتمد في تسيير أوجه مختلفة من حياتها على أنظمة معلوماتية تقوم بتشغيلها بشكل آلي وتلقائي منتظم. وعليه فإنَّ العبث بأي من هذه الأنظمة قد يتسبب بأضرار كارثية.[٢]

إلى ذلك، يُسبّب العنف الذي تمارسه الدول في تخلّف مجتمعاتها ثقافيًّا وحضاريًّا؛ إذ إن تداعيات الارتكاز إلى العنف منهجًا في التفكير السياسيّ وأسلوبًا في الحكم لا تقتصر على إقصاء المعارضة وقمع الرأي الآخر؛ بل إن العنف ينغرس عميقًا في لا وعي الشعب بشكل يقضي فيه على خيارات تسوية الخلافات والقضايا المطروحة، ويحصرها في أسلوب واحد هو العنف.[٣]

تتعدّد القوى التي قد تمارس العنف السياسيّ، منها:

– العنف الموجّه من النظام إلى المواطنين، أو إلى جماعات وعناصر معينة منهم. وذلك لضمان استمراره، وتقليص دور القوى المعارضة والمناوئة له.

– العنف الموجّه من المواطنين، أو فئات معينة إلى النظام، أو بعض رموزه.. ويعرف بالعنف الشعبي، أو غير الرسمي.

– العنف الموجّه من بعض عناصر النخبة الحاكمة، أو أجنحتها إلى بعض عناصرها، أو أجنحتها الأخرى، ويتخذ أشكالً منها: التصفيات الجسدية، والاعتقالات، وانقلابات القصر.

– العنف الموجّه من بعض القوى، أو الجماعات ضدّ جماعات أخرى داخل المجتمع، نتيجة أسباب سياسيّة، أو اقتصاديّة، أو اجتماعيّة، أو دينيّة.[٤]

وتتمثّل أدوات الإرهاب والعنف السّياسيّ بما يلي:

– الاغتيال؛ وهي ترتبط بالدافع السّياسيّ ضدّ الذين يعتقد أن لهم ارتباطًا بالسّلطة الحاكمة.

– الأفعال الواقعة ضدّ الطائرات وسلامة الملاحة الجويّة؛ وتشمل هذه الأفعال تغيير مسار الطائرات، أو اختطافها، أو استخدامها قنبلة ضدّ الخصم.

---

[١] أحمد محمّد رفعت، الإرهاب الدوليّ، مركز الدراسات الأوروبي، باريس، ١٩٩٨، ص ٢٩. .

[٢] أحمد سويدان، الإرهاب الدوليّ في ظلِّ المُتغيّرات الدوليّة، منشورات الحلبي الحقوقيّة، بيروت، ٢٠٠٥، ص ٨٢. .

[٣] ماجد الغرباوي، تحدِّيات العنف، معهد الأبحاث والتنمية الحضاريّة، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٧٧

[٤] د. حسنين إبراهيم، ظاهرة العنف السّياسيّ في النظم العربيّة، مركز الوحدة العربيّة، بيروت،١٩٩٩، ص. ٤٩.

– احتجاز الرهائن؛، أو التهديد بقتلهم، أو حرمانه من حريتهم بهدف الضغط على جهة ما لترضخ لمطالب الخاطفين.

– العمليّات الانتحاريّة؛ بهدف إلحاق الضرر في صفوف من يعدّهم الانتحاري أعداءً لأسباب سياسيّة، أو عقدية، أو نفسيّة.

– الإرهاب المعلوماتي؛ من خلال عرقلة تقنية المعلومات الموجودة في الحاسبات الحكوميّة، أو الأنظمة المدنية الضرورية مثل: شبكة المياه، أو الكهرباء، أو السدود لإيقاع الخراب والتدمير.[١]

٢– دوافع الإرهاب والعنف السّياسيّ:

وفقًا لدراسة علميّة، ظهر فيها أن الأفراد الأكثر قبولً للانضمام إلى صفوف الإرهابيين يميلون إلى:

– الشعور بالغضب والعزلة عن الآخرين، أو الحرمان.

– التماهي مع من يتصورون أنهم ضحايا الظلم الاجتماعيّ الذي يحاربونه.

– الشعور بالحاجة إلى القيام بفعل ما، بدلً من الاكتفاء بالتحدث عن المشكلة.

– الاعتقاد بأن الانضمام إلى تنظيم ما سوف يمنحهم تعويضًا نفسيًّا واجتماعيًّا، مثل: روح المغامرة، والشعور القوي بالذات.[٢]

تمتدّ جذور الإرهاب في التاريخ البشري منذ نشأته الأولى. وفي الآونة الأخيرة، عرف مفهوم جديد للإرهاب بتوجّه أصحابه إلى غير خصومهم المباشرين، فيوجّهون قتلهم إلى الأبرياء، والعزّل، فضلً عن تدمير المنشآت الخدميّة.

ثمّ إنَّ الإرهاب كما يقع من الأفراد والمجموعات، يقع كذلك من الدول، بأسلوب أكثر شراسةً وعنفًا، وتكون نتائجه أكثر انتشارًا ودمارًا.

يعمل الإرهاب على تدمير القيم الإنسانيّة، وترويع المجتمع ذاته، وتقويض تقدمه، كما أنه يخلق حالة نفسيّة من الخوف الشديد، بغضّ النّظر عن الدمار الماديّ الذي يسبّبه للحياة والممتلكات. يُدمّر الإرهاب الحياة الإنسانيّة بكل مقوّماتها السّياسيّة والاجتماعيّة، وما أنجزته من قيم وإنشاءات اقتصاديّة، كما يؤدّي الإرهاب إلى إرباك الحياة الاقتصادية للشعب وتهديد الوجود الآمن للمجتمع.

هناك أسباب عدّة للإرهاب، منها:

سوء توزيع الثروة؛ إنَّ وجود خلل في العدالة الاجتماعيّة يفرز قدرًا متعاظمًا من الظلم الاجتماعيّ الجماعي والحرمان النسبي بالضرورة ناتجًا من الفقر على المستوى الفردي، وذلك أن الأفراد القائمين بالإرهاب قد يكونون أغنياء بذاتهم ولكنهم انطلاقًا من الإحساس بالتهميش من قبل الدّولة، ما يخلق حالة من الغضب والنقمة لدى فئة معينة تجاه فئات أخرى، ورد فعل مُتطرّف مصحوب بعمل إرهابيّ.

---

[١] د. محمود التميمي، ود. ميثم الساعدي، علم النفس والسياسة، دار صفاء، عمان، ٢٠١٦، ص ٣١٧.

[٢] د. عبد الحسين شعبان، الإسلام والإرهاب الدّوليّ، دار الحكمة، لندن، ٢٠٠٢، ص ١١٠. .

العوامل الخارجيّة: شكّلت الجمعيّة العامة للأمم المتحدة في العام ١٩٧٢ م لجنة متخصّصة لدراسة الدوافع والأسباب التي تقف وراء شيوع ظاهرة الإرهاب اقتصاديًّا، وكان تشخيصها للأسباب الاقتصادية والاجتماعيّة كما يلي:

– استمرار وجود نظام اقتصادي دولي جائر يمكن أن يقود إلى خلق حالة من الغضب والعداء المستمرّ بين مختلف شعوب العالم.

– الاستغلال الأجنبيّ للموارد الطبيعيّة الوطنيّة، والذي يمكن أن ينتج بفعل ظاهرة التّبعيّة.

– الظلم والاستغلال السياسيّ والاقتصاديّ والاجتماعيّ.

– الفقر، والجوع، والشقاء، وخيبة الأمل...[١]

وقد أدخلت الأيديولوجيّات الشموليّة) التوتاليتاريّة (البشرية في الحروب، وأذكت الصراعات الدينية والعرقية، ويمكن عدّها منشئة المؤسّسات الإرهابيّة، وإن عنف السّلطة هو الذي يؤسس سلطة العنف.[٢]

إنَّ التعصّب هو تحويل الانتماء إلى جماعة معيّنة والاعتزاز بها إلى استعلاء، أو انغلاق مصحوب بكراهية للآخرين، أو احتقار لهم[٣]؛ ساعد على زيادة أعمال الإرهاب والعنف السياسيّ.

ويرى بعض الدّارسين " إنّ الفقر المُتفشّي يضعف الحكم – مهما كان نوعه –.إنه سبب دائم لانعدام الاستقرار، ويجعل الديمقراطيّة مستحيلة التطبيق عمليًّا"[٤].

هناك الكثير من الدّراسات التي تؤكد العلاقة التي تقوم بين الإرهاب ونوع النظام السّياسيّ؛ أي دول استبدادية سابقة تخضع حاليًّا لعمليّة "دمقرطة "، أو ديمقراطيات تعاني اختلالً واضحًا من حيث أداء مهماتها ووظائفها، أو نظم واهنة ومتآكلة غير ديمقراطية، تميل إلى إيجاد ظروف مؤاتية للإرهاب أكثر ممّا تفعل الديمقراطيات الراسخة، أو الأنظمة الاستبدادية القاسيّة.[٥]

ومن أسباب العنف السّياسيّ وبواعثه الديكتاتوريّة، أو الاستبداد، أو الطغيان تعني استئثار فئة، أو فرد بالسّلطة دون غيره، وفي كلّ المجالات. وتلك الأنظمة تتوسّل العنف لتحقيق أهم أغراضها وهو الإمساك بالمجتمع وتوجيهه حسب رؤيتها ومصالحها. وقد يلجأ الطغاة إلى ترويع الشعب بالتخويف من المؤامرات الخارجية الَّتي تحاك ضدّه لسلب حقوقه، وبعض الديكتاتوريات الَّتي لا تستطيع شنّ الحروب على الآخرين ينعكس عنفها على الداخل فتمنع القوى الاجتماعيّة من الحراك، أو التعبير عن نفسها وتكبل الحريّات العامة.[٦]

---

[١] وداد غازي،"الإرهاب وأثره على العرب"، في: مجلة العرب والمستقبل، الجامعة المستنصريّة، بغداد، السنة الثانية، أيار، ٢٠٠٤، ص ٥.

[2] Roger Dadoun, La Violence (Paris: Hatier, 1993), p.60 .

[٣] ناصيف نصار وآخرون، أضواء على التعصب، دار أمواج، بيروت، ١٩٩٣، ص ١٩٥. .

[٤] انظر: صموئيل هانتون، النظام السياسيّ لمجتمعات متغيرة، ترجمة سميّة عبود، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٣، ص ٥٥..

[5] Tanja Ellingsen and Nils Petter Gleditsch, «Democracy and Armed Conflict in the third World», in Causes of Conflict in the third world, eds. Dan Smithand Ketil Volden (Oslo: International Peace Research Institute (PRTO), 1997) .

[٦] حسن أحمد، العنف من الطبيعة إلى الثقافة، النايا للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٩، ص ١٤٧.

إنَّ فئة الشباب أكثر الفئات تعرّضًا لتأثيرات الأفكار المُتطرّفة الَّتي تشحن النفوس بالكراهية والحقد، وتدفع نحو ارتكاب الجريمة ضدّ المجتمع وضدّ الإنسانيّة جمعاء، وإنَّ انحراف الشباب يؤدّي إلى الوقوع في براثن التطرُّف، كما أنَّ الانحراف يأتي من الفراغ الَّذي لا يستغلّ بشكلٍ إيجابيّ. لذلك، فإنَّ المنهج القويم كلّ هذه المشكلة هو أن تمتد آثار التربية والتعليم إلى خارج المؤسّسات التعليميّة لتشمل العمليّة التربويّة أوقات الشباب في المؤسّسات التعليميّة وخارجها، وإنه كلما استثمرت أوقات الشباب استثمارًا جيدًا في غير ما إرهاق، أو إكراه، أو ضغط كان ذلك حصانة للشباب ضدّ المؤثرات المُدمّرة للشخصية، ووقاية من المخاطر الَّتي تحاصر الشباب عندما لا يجد ما يملأ به أوقات فراغه.[١]

تتضمّن مكافحة الإرهاب فهم الأفكار الَّتي تشكل أساس استخدام الإرهاب في الحياة الاجتماعيّة والسّياسيّة والتعامل معها. ولهذا المنحى جوانب أيديولوجية، وسياسيّة، واجتماعيّة، ودينية. وللإرهابيّين دوائر مناصرة تشمل الأتباع، والمتعاطفين، والمساندين النشطين، أو السلبيّين. لذا؛ ينبغي التعامل مع تلك الفئات في مجال مكافحة الإرهاب.[٢]

ومن أجل هذه الغاية ربَّما لا يكون العنف والإكراه دائمًا أفضل وسيلة للتغلب على الإرهاب؛ إذ إن الوسائل الأكثر عنفًا وقمعًا ربَّما تعزز المنظمة الإرهابية وسطوتها على أعضائها بما أنَّ واحدًا من الدوافع الرئيسة للمشاركة في الإرهاب هو الانتقام للهجمات السابقة والظلم المتصوّر.[٣]

يساعد التعليم في مكافحة الإرهاب؛ إذ تشمل أهداف التعليم ما يأتي:

–تعزيز احترام حقوق الإنسان.

– تشجيع التفاهم، والتسامح، والصداقة بين كلّ الدُّول والمجموعات العرقية، والإثنية، والدينية.

– تعزيز المحافظة على السلام.

– تمكين الناس من المشاركة الفعّالة في المجتمع الحر.

– محاربة المواقف العنصريّة والدعاية العنصريّة.[٤]

وقد سعى جانب من الفقه القانونيّ الدوليّ إلى إعادة تعريف مفهوم السّيادة الوطنيّة، على نحو يضفي قدرًا من الشَّرعيَّة على فكرة التدخُّل في شؤون الدُّول الأخرى تحت شعار مكافحة الإرهاب الدوليّ، ويتم التركيز في هذا الشأن على عاملين أساسيين:

أولهما: إنَّ الدُّول ذات السّيادة لديها التزامات واضحة تجاه الدُّول الأخرى، أو المجتمع الدوليّ، وإنَّ تجاهلها لهذه الالتزامات يفقدها كلّ حقوقها السّياديّة، أو بعضها؛ فالدول مسؤولة عن الأنشطة الَّتي تجري على أراضيها،

---

[١] د. رمزي عبد الحي، التربية وظاهرة الإرهاب، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،٢٠٠٨، ص ٣٠٥.

[٢] رونالد كريلينستن، مكافحة الإرهاب، ترجمة أحمد التيجاني، مركز الإمارات للدراسات والأبحاث الاستراتيجية، أبو ظبي، ٢٠١١، ص ١٣٣.

[3] Anne Speckhard, «Defusing Human Bombs: Understanding Suicide Ter- rorism», in Victor off (ed.), Tangled Roots, p.283.

[4] Theo Van Boven, «The European Context for Inter cultural Education», paper presented at the conference «Social Diversity and Discrimination in the Common Curriculum», Bergen, The Netherlands, January 27 - 30, 1993 .

وعليها التزامات واضحة بمكافحة الإرهاب الدوليّ، والامتناع عن تقديم المأوى والملاذ الآمن لأيٍّ جماعات إرهابية، وإذا فشلت الدّولة في الوفاء بهذه الالتزامات فإنها ستفقد حقّها في السّيادة، بمظهريها: الدّاخليّ، والخارجيّ؛ ويصبح من حق الدُّول الأخرى التدخّل في شؤونها الداخليّة.

أمّا العامل الآخر: فيتمثّل في إحياء الجدل المُتعلّق بحق التَّدخُّل الإنسانيّ، وهو الَّذي انتهى إلى تجسيد قاعدة أنّ "السّيادة تعني المسؤوليّة "، فإذا كانت الدّولة لا تستطيع أن توفّر الأمن والرفاهية لمواطنيها، فيجب عليها أن تقبل المساعدة والتدخُّل من قبل دول أخرى، أو المجموعة الدّوليّة؛ لأنّ ذلك يعني أنَّ الدّولة فشلت في القيام بمسؤوليّتها في توفر الحماية الإنسانيّة لشعبها.[١]

(1) René e De Nevers, «Sovereignty and Ethical Argument in the struggle against state sponsors of Terrorism», «Journal of Military Ethics», vol. 6, no. 1 (2007),p10.